

# المقطف

الجزء الخامس من السنة العشرين

يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٦ الموافق ١٩ ذي الحجة سنة ١٣١٣

## ناصر الدين شاه

قضى في غرة هذا الشهر (مايو) ملك من أكبر ملوك الارض سنًا واطولهم حكمًا وابعدهم اسفارًا وهو ناصر الدين شاه ايران الرابع من دولة آل قاجار (١) . وُلد في ٦ صفر سنة ١٢٤٧ (١٧ يوليو سنة ١٨٣١) ولم يكن بكر ابيه ولكنه أُعطي ولاية العهد لان امه اميرة من آل قاجار (٢) . وُلد توفي ابوه سنة ١٨٤٨ كان في تبريز فنودي به شاهنشاه على سلطنة ايران وذلك في ١٠ سبتمبر من تلك السنة لكنه لم يجد السكنة في البلاد ولا رآها طويح امره فاضطر ان يتغلب على خصومه بجد الحسام . قالت جريدة التيس " وكان البايون في جملة من ناله الضيم من يده فترقبوا به فرص المنون من ذلك الحين إلى ان اودى به واحد منهم بعد حسين عامًا " . والذي علناه نحن من فضلاء البايين المتيسمين في هذا القطر ان الخارجين منهم على الشاه شرذمة صغيرة مطرودة من جماعتهم مكروهة منهم فلا يؤخذون بما جنت واما هم فكانوا مقيمين على ولائهم وسيقيسون على ولائهم ابنيهم . وقد جاءت الاخبار الاخيرة بما يؤيد ذلك وثبت منها ان القاتل ليس منهم

ولما استتب له الملك التفت الى علاقة بلاد الممالك المجاورة لها ومال الى روسيا وقت حرب القرم . ثم زحف على هرات وفتحها ظانًا ان انكلترا لا تعارضه في ذلك وان عارضته فروسيا تنصره عليها . فاحطأ ظنه في الامرين واضطرته انكلترا الى اخلاء هرات وذلك سنة ١٨٥٧ . ومن ثم رأى ان يصادق انكلترا وروسيا معًا وثبت على صداقتها كل ايامه

(١) اختلف المؤرخون في اصلهم فقال بعضهم انهم من اصل عربي . والمعول عليه من تاريخ ايران انهم من المعول من سلاله تراجار نويان احد اسراء المعول  
(٢) حسب القاعدة المتبعة في دولة قاجار وهي ان تكون ام ولي العهد من بيت الملك

وزار أوروبا ثلاث مرات سنة ١٨٧٣ و ١٨٧٨ و ١٨٨٩ ولم يكتب بالسياحة والمشاهدة بل أمن النظر في كل ما رآه ولا سيما في المعامل الصناعية . وكتب وصف ذلك باللغة الفارسية لكي يطلع اهالي بلادو على احوال العمران الاوربي واساليه  
قال الأستاذ فيبري الرحالة اللغوي الشبير " تشرفت باترجمة له في زيارته الاخيرة ليودابست اياماً كثيرة وكنا اذا اضانا الشعب من كثرة الزيارات والمجاهدات وعدنا نطاب الراحة بدعوتي الى غرفتي بعد السادة العاشرة ليلاً لكي اخبره بالتدقيق عما رآه في نهاره من الاماكن والاشياء وعمن التقى بهم من الانام . وكان يكتب كل ما اقوله له بالفارسية ويضبط الاعلام بالحروف الافرنجية لكي لا يقع تحريف في كتابتها ولا التباس في لفظها لو اقتصر على ضبطها بالحروف العربية . واظنه جرى على هذه الخطة في كل الاماكن التي زارها لان كتاب رحلته الاخيرة وهو مكتوب بالفارسية بلغة سليمة ومطبوع بامرو في طهران ليس فيه علم الا وقد ضبط لفظه بالحروف الافرنجية . ويظهر من هذا الكتاب انه كان من اكثر الكتاب تدقيقاً في وصف ما رآه من البلدان والمدن والقصور والحدائق والمتاحف ومن اشد هم حذراً في وصف الذين قابلهم من كبار الانام . فاذا رأى شيئاً لم يرضه اغضى عنه ولم يتقدمه او اشار اليه من طرف خفي واذا رأى شيئاً ارضاه اكتب في ذكره وجاهر بمدحه " كما يتضح من مقابلة الوصف المسهب الذي وصف به مدن انكلترا بالوصف الموزج الذي وصف به مدن روسيا

وقد وصف مقابلة الملكة نكتوريا له في قصر وندسربا يأتي قال " استقبلني جلالة الملكة عند اسفل السلم يحيط بها بناتها والسيدات التابعات لها وكانت لابسة ثوباً اسود وفي يدها عصاً سوداء ولم تكن لابسة شيئاً من الحلى . فلما نزلت من المركبة تقدمت ومددت لها يدي فصاحفتني وصعدت بي على السلم ومررتا في رواق وهو كبير مزدان بالصور البديعة الى ان اتينا غرفة رأيتها منذ ست عشرة سنة فجلنا فيها وتحدثنا برهة وشاهدت بين الحضور ثلاثة من اهالي الهند يتكلمون الفارسية فقالت لي انها اتت بهم من بلاد الهند لكي يعلموها لغة اردو . وحينما نهضت اعطيتي طاقة من الزهر وسارت بي الى السلم وحينئذ استأذنت جلالتها بالانصراف "

ووصف زيارته للملكة في قصر اوسيرن فقال " بلغنا الروض الخاص بالملكة فلم نر فيه احداً وهو كبير جميل فيه اشجار باسقة اتي بها اليه من اميركا وكندا . وسرنا مسافة طويلة الى ان بلغنا القصر وكان حوله خيام كثيرة فسألت عن سبب نصبها فقيل لي انها

نصبت لامبراطور المانيا فانه كان طازماً على زيارة هذا القصر وهو لا يبعث واتباعه. ورأيت جلاله الملكة في الباب فتصافحتا ومثينا يداً بيد الى غرفة دخلها معنا امين السلطان ونظيم الدولة (ملكوم خان السفير) وبرنس بتبرج والبرنس يترس والسراشريفاتي ورأيت من جلاله الملكة كل انس وترحيب وبعد برهة جاءت البرنس يترس بطبق عليه جوثنة صغيرة ففتحتها جلاله الملكة واخرجت منها نشاناً مرصعاً بديع الصنعة فيه صورتها فسلمتني اياه قائلة اني اعطيكه تذكراً. فاعربت لها عن سروري بهذا التذكار الثمين فمלקته يدها في عنقي واعطت نشان الحمام لامين السلطان (الصدر الاعظم)

ولما دخل بلاد فرنسا قال "من الفريب ان فرنسا وانكلترا تخلفان اخلاقاً عظيماً مع انهما جارتان يفصلهما بحر ضيق فاذا دخل المرء بلاد فرنسا رأى العادات والاخلاق والازياء واللغة وشكل الرجال والنساء والفلاحين والجنود والجبال والسهول والاشجار كل ذلك يختلف عما هو عليه في انكلترا". وقال في وصف اهالي باريس "اهالي باريس يشبهون الايرانيين خلقاً وخلقاً وما رأيت من قوة البنية في انكلترا وروسيا لم اره هنا. وقد قيل ان ايران فرنسا الشرق ولم ار صدق هذا القول قبلاً اما الآن فاني اراه واسلم به لان كل شيء يشبه ايران"

وكان معتدلاً في معيشته مغرمًا بالصيد والشعر والموسيقى فكان يربي الاسود وياهي بها ويخرج في طلب الصيد فيغيب اياماً عديدة وله منظومات كثيرة بعضها من جيد الشعر. وقد جمع اليه كثيرين من البارعين في فن الموسيقى واتى بعضهم من باريس وكان الحاكم المطلق في كل الشؤون ولكنه لم يكن مستبدًا برأيه ولا منشئًا باحكامه فاذا رأى مظلوماً بادر الى كشف ظلامته. ويقال انه من اغنى ملوك الارض وقد اختلف المقدرون في ثمن ما عنده من الجواهر والحلى فقال بعضهم انها تساوي خمسة عشر مليوناً واوصلها بعضهم الى خمسين مليوناً ومنها العرش الذي اتى به نادر شاه من دلهي ييلاد الهند وفي غرة مايو اتى مقام عبد العظيم الحسيني للزيارة في الساعة الثانية بعد الظهر وهو على ساعة من طهران فدنا منه رجل اسمه ميرزا رضى واطلق عليه الرصاص من مسدس فاصاب قلبه وفاضت روحه حالاً فاعيد الى قصره في طهران وارسل نيةً بالتلغراف الى ابنته مظفر الدين ولي العهد وهو والي اذربايجان ونودي به في اليوم التالي شاهنشاه فبعث اليه اخوه الاكبر ظل السلطان يعزيه ويقدم له الطاعة وجاءته تلغرافات التعزية من الملوك والعظماء واعترفت به دول الارض شاهًا على بلاد ايران

ولقد شمل الحزن على الشاه المتوفى بلاد ايران كلها وأبنته وزيرها الاول تأييداً بليغاً في الخامس من الشهر. وقام الشاه الجديد من تبريز في الثامن عشر منه قاصداً طهران ولعله لا يلبثها قبل اسبوعين او ثلاثة

وكان المغفور له ناصر الدين محباً للعلم والعلماء راغباً في ترقية بلاده وايراد شعبها موارد السعادة لكن البلاد لم ترتق في عهده كما ارتقت بلاد اليابان في عهد ملكها الحالي ولا بلاد الروس في عهد بطرس الاكبر ولا بلاد مصر في عهد محمد علي باشا ولا نالت منه دستوراً تجري الاحكام بموجبه بل بقي الحكم فيها مطلقاً كما كان في عهد اسلافه. وغني عن البيان ان الملك المطلق اذا كان حكيماً عادلاً باذلاً جهده في اسعاد رعيته مثل جلالة الشاه المتوفى فقد لا تنقر الرعيّة في عهده الى دستور وقانون ولكن من يكفل ان خلفاءه يجرؤن في خطئه وان لم يجرؤا فمن يكفل لم ان الرعيّة لا تنتقض عليهم. فخير لها ولم ان تكون الاحكام مقيدة بدستور وقانون من ان يكونوا مثالا في الحكمة والعدالة

ويبلغنا ان الرشوة لم تنزل ضاربة اطنابها في بلاد ايران والمناصب تباع وتشترى والعلم والصناعة منحطان جداً بالنسبة الى ما هما عليه في الممالك الاوربية. واليرانيون موصوفون بدكاه العقل وعلو الهمة وتاريخهم يدل على انهم كانوا من نوانغ المشاركة في العلم والصناعة ومنهم اشعر الشعراء واكبر المؤرخين. ولهم الفضل الاكبر على اللغة العربية وابنائها فهم جامعو متن العربية وواضعو علومها وهم مدبرو الملك ومعلمو الصناعات فلو استخدمت الوسائل اللازمة لترقيتهم الآن ما رأيتهم دون غيرهم من امم الارض

وهذه خمسون سنة ارتقت فيها ممالك اوربا واميركا ارتقاء لم يُعهد له نظير في القرون الخوالي ودعت امم الارض لتشاركها في هذا الارتقاء حتى ان ما استفادته الانكليز والفرنسيون والالمانيون والاميركيون من دائي وكلفن وهيلتز وهفمن وددياس وبرتلر ومورس واديصن وما بنوه على مباحث علمائهم وفلاصنتهم منذ متي عام الى الآن لا يضنون بشيء منه على احد ولو كان من اهالي اواسط اسيا وبجاهل افريقية. فاي تقع كبير جنته بلاد ايران من ذلك كله واي تقدم حقيقي تقدمته في هذه الخمسين عاماً

ويظهر لنا ان المغفور له الشاه المتوفى كان يرغب في ترقية بلاده وجعلها مثل ارق الممالك الاوربية ولكنه لم يترك السبيل المؤدي الى ذلك. فلوجرى مجرى امبراطور اليابان قبعت بكثرتين من التتبان من بلاده الى اشهر مدارس المانيا وانكاترا واميركا حيث يتعلمون العلوم العالية ويهدون احسن تهذيب — حيث يكتبون فضائل الاوربيين ولا يتعلمون شيئاً من رذائلهم

لعاد هؤلاء النتيان الى بلادهم رجالاً اهل علم ودراية وغيره وطنية ومقدرة على ادارة مهام المملكة واجراء العدالة ونشر التعليم والتهديب بين ابناءها فلا يمضي عليهم عشرون عاماً حتى يخطوا بها خطوة كبيرة في سبيل العمران ويبقى عليه حينئذ ان يمنح البلاد دستوراً تمتع به وقانوناً تجري عليه حتى يحكم الرعية بقول عقلائها لا بارادته الخاصة . فان المرء معاً كان حكيماً لا يقتصر على رأيه في ادارة يتو فبا يكون شأنه في ادارة سلطنة واسعة الاطراف .

فلو جرى جلالة الشاه على الخطة التي ذكرناها لارتقت بلاده في عهد و كما ارتقت بلاد يابان على الاقل وبلغت الشأ الذي كان يتناه لها

وعسى ان يكون نصيب تلك البلاد في عهد خلفه مظفر الدين شاه اوفى من نصيبها في عهدو فيجري جلالتهم على الخطة التي يحكم بصحتها العقل ويؤيدها النقل وهي اخذ العلم عن اربابيه وبثه في البلاد كلها وإشراك عقلاء الامة في شؤونها والاعتماد عليهم في ادارتها فانه اذا فعل ذلك لم يمض على بلاد ايران عشرون عاماً حتى تصير من الطبقة الاولى بين سمالك الشرق ويرتفع اهلها في محبوبحة الراحة والامن

## ايطاليا والحبشة

لم تكذب دول اوربا تخرج من مؤتمر برلين حتى طمعت ابصارها إلى افريقية ولم تشأ ايطاليا ان تتأخر عن غيرها في هذا المضمار فابتاعت اصاب من سلطان دنيكلي خبزت الفم لنها على شاطئ البحر الاحمر شمالي بوغاز باب البندب ثم بعثت الف جندي إلى تلك البلاد لقصاص الذين قتلوا بعضاً من رجالها فاحلوا مصوع ولماً لم يجدوا القتل أخذوا يوزغون في بلاد الحبشة رويداً رويداً . فارسل اليهم التجاشي يوحنا قائداً من قوادو لطردهم من بلادو فالتقى بهم سنة ١٨٨٢ واتخن فيهم وكانوا خمس مئة محارب فلم ينج منهم الا بعض الجرحي عادوا إلى مصوع واخبروا بما جرى لهم . لكن ايطاليا لم تفشل ولم ترجع عن عزمها فعبأت الجنود وبعثت بهم إلى بلاد الاحباش

ونشب الحرب حينئذ بين الملك يوحنا والدرراو يش فغلب عليهم اولاً واستاق سباياهم ثم اصابتهم رصاصة فضت عليه فظن الايطاليون ان قد خلا لهم الجو ومهدت السبل لامتلاك بلاد الحبشة وكانوا يتقون بالامير مثلك امير شوى وهي بلاد واسعة جنوبي بلاد الحبشة لانه احسن إلى روادهم فشدوا ازره واعترفوا به ملكاً على بلاد الحبشة واهدوا إليه عشرة